المحاضرة الاولى:

جامعة الانبار / كلية التربية للعلوم الانسانية - قسم التاريخ / الدراسات العليا /دراسات في تاريخ المغرب والاندلس/ أستاذ المادة : د. عثمان عبدالعزيز صالح

محتويات المحاضرة ....

جغرافية المغرب الاسلامي

حدود المغرب وتقسيماته الاجتماعية والدينية:

اختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحديد حدوده ، فجعله بعضهم يشمل بلاد الشمال الأفريقي زيادةً إلى إسبانيا (الأندلس) بعد فتحها للإسلام ، وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر الشامي (البحر المتوسط) مثل صقلية ، وجنوب ايطاليا وجزيرتي سردانيا وكورسيكا والجزائر الشرقية(جزرالبليار)ميورقة،ومنورقة يابسة.

واصطلح الكتاب على تسمية المقاطعة التي تلي حدود مصر الغربية حتى بحر الظلمات(المحيط الأطلسي حالياً) باسم (المغرب العربي) ،والتي تشمل ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الحالي وموريتانيا. وقد استندت هذه التسمية إلى حقائق اجتماعية واقتصادية وجغرافية ،وعوامل تاريخية موغلة في القدم تمخضت عن وحدة الفكر والتراث والهدف والمصير.

هذا وقد عرفت بلاد المغرب العربي منذ أقدم العصور بأسماء متعددة ،إذ اطلق العرب الفينيقيون على السكان الذين سكنوا حول مدنهم طاقة (أوتيكا) وقرطاجنة أسم (أفري) . وعنهم أخذها اليونان فأطلقوها على جميع سكان المغرب ابتداءً من غرب مصر حتى بحر الظلمات. ومنها أشتق أسم (أفريقية) أي بلاد الأفري. ثم أخذ مدلول هذه اللفظة في الاتساع ليتماشى مع اتساع نفوذ الغزاة الرومان حتى شمل بلاد المرب معظمها.

وعندما انطلقت حروب التحرير العربية الإسلامية ووطأت أقدام المسلمين اراضي المغرب أطلقت لفظة (أفريقية) للدلالة على جميع الأقاليم التي مما يلي اقليم طرابلس غربا .وقد كتب والي مصر عمرو بن العاص كتابا الى الخليفة عمر بن الخطاب ((رضي الله عنه)) بعد تحرير مدينة طرابلس يستأذنه فيه بمواصلة الزحف غربا ،وجاء فيه " أنا قد بلغنا طرابلس وبينهما وبين أفريقية تسعة أيام ،فأن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل. ثم تحدد مدلولها لتعني الإقليم الذي نشأت فيه فيما بعد مدينة القيروان

، على الرغم من أن بعض المؤرخين ظل يخلط بين تسمية أفريقية والمغرب ولا يميز بينهما ، وانتهى لفظ المغرب ليشمل عموم أقاليم البلاد وحدودها من غرب مصر حتى بحر الظلمات(المحيط الأطلسي) .

هذا وقد وضع المؤرخون والجغرافيون مصطلحا جديداً لبلاد المغرب العربي إذ بنى على تقسيمه الى ثلاثة اقسام وهمية ، أي مجرد معلومة يتناقلونها بدون وضع حدود طبيعية إضافية بين تلك الأقسام . وجاء التقسيم بحسب قربها أو بعدها عن عاصمة الدولة العربية الإسلامية أي مركز الخلافة في الشرق وهي :-

١ـ المغرب الأدنى:

وهو أول أقاليم المغرب العربي ، وأقربها إلى مركز الخلافة الإسلامية ، سواء أكانت العاصمة المدينة المنورة أم دمشق أو بغداد .

ويمتد هذا الإقليم من مدينة طرابلس حتى مدينة بجاية غربا ، وقاعدة هذا الإقليم مدينة القيروان في عهد تأسيسها وعهد حكم الأغالبة (١٨٤ـ٢٩٦هـ/٨٠٠ـ٩٠٨م) ، ثم المهدية أيام حكم الفاطميين (٢٩٩ـ٥٦٧هـ/٩٠٩ـ١٠٧١م) ، ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصيين إلى يومنا هذا.

٢ـ المغرب الأوسط

وسمي بالأوسط لكونه يتوسط المغربين الأدنى والأقصى ، وحدود هذا الإقليم من بجاية حتى وادي ملوية وجبال تازة ، وقاعدته مدينة تلمسان،وهو يضم بلاد الجزائر عامة. وكانت عاصمة المغرب الأوسط تباعا حسب الأسر الحاكمة ، إذ كانت تاهرت،في عهد الدولة الرستمية والتي كانت من الخوارج الإباضية ، وفي أيام الدولة الزيرية الصنهاجية التي خلفت الفاطميين في حكم المغرب صارت العاصمة مدينة أشير، التي تسمى حاليا بنيه(benia). ثم انتقلت العاصمة إلى مدينة تلمسان غربا أيام دولة بني عبد الواد أو بني زيان في القرن السابع الهجري.

٣ـ المغرب الأقصى

ويمتد هذا الإقليم من وادي ملوية حتى مدينة أسفي على ساحل بحر الظلمات. وعاصمة المغرب الأقصى تناوبت بين فاس أيام الأدارسة العلويين ،والتي أسست بين عامي(١٧٢ـ١٩٨هـ) ،ثم جاء المرابطون فأسسوا مدينة مراكش،واتخذوها عاصمة لهم ،وتبعهم الموحدون على ذلك.

ويشمل المغرب الأقصى في الوقت الحاضر المملكة المغربية وموريتانيا . ويجب التأكيد على أن هذا التقسيم السالف الذكر لبلاد المغرب العربي ما هو الإ مجرد تقسيم اصطلاحي افتراضي أوجبته الضرورة السياسية أو الإدارية . والمغرب العربي الكبير وحدة متماسكة تجلت مظاهرها في شتى النواحي الجغرافية والبشرية والاجتماعية والاقتصادية .

جغرافية بلاد المغرب العربي:

يؤلف المغرب العربي بأقاليمه الثلاث ، ابتداء من خليج سرت حتى بحر الظلمات(المحيط الأطلسي) ، وحدة جغرافية وبشرية مستقلة عن غيرها ،فقد كانت ولا تزال ترتبط بروابط طبيعية وسياسية وثيقة ، سكنها منذ أقدم العصور التاريخية عنصر واحد من السكان . ذكر ابن خلدون أن "المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار" ،ولذلك كان له طابعه الخاص به ،وكانت حضارته حضارة منعزلة منطوية على نفسها ،ونلاحظ أن هذه العزلة التي فرضتها طبيعة البلاد أثرت تأثيرا عميقا في اللغة والدين ،فللمغرب لغته الخاصة بجانب اللغة العربية ،وللمغرب مذهبه المالكي الذي حافظ عليه على مر السنين .

هذا وتنقسم طبيعة البلاد الجغرافية الى ثلاثة اقسام هي:.

القسم الأول : الإقليم الساحلي

يمتد هذا الإقليم على طول شواطئ البحر الشامي(المتوسط) ،حتى مدينة طنجة ،ثم يستمر محاذيا لبحر الظلمات حتى مدينة نول في بلاد السوس ،وأغلب هذه المناطق مناطق سهلية صالحة للزراعة.

القسم الثاني : الاقليم الجبلي

تخترق البلاد المغربية سلسلة جبال ،وهي جبال ضيقة وعرة الدروب والمسالك وتنقسم هذه السلسلة الى ثلاثة أقسام:.

الأطلس الساحلي : ويمتد غربا من جبال أنجيزه على ساحل بحر الزقاق(مضيق جبل طارق) ويشمل جبال غماره وجبال الريف وجبال بسني يزناتن ترارة وبدوغ وغيرها ،وهي جبال متوسطة الارتفاع ،وأكثرها ارتفاعا جبل بني حسن الذي يبلغ ارتفاعه ما يقارب من الفي متر . وتتخذ هذه الجبال شكل قوس يحتضن الساحل الشمالي، وأهمها:

١ـ **أطلس التل:** وهي سلسلة جبلية تمتد من المغرب الأقصى وتنتهي في تونس بجبال الخمير وتشمل جبال كندافة وكلاوة والمدحوس وبادر وتلمسان وونشريس والجرجرة . وتمتاز هذه الجبال بارتفاعها وانحدارها الشديد نحو السواحل الشمالية،ونحو الأحواض الجنوبية المنعزلة بين أطلس التل وأطلس المتوسط ،وعلى الأخص في القسم الغربي من المغرب الأوسط.أما الجزء الشرقي فأقل ارتفاعا وأكثر تقطعا.

٢ـ **الأطلس الصحراوي:** وتبدأ هذه السلسلة من المغرب الأقصى ،إذ تحمل أسم جبال أطلس الكبرى ،وهي اكثر جبال أطلس ارتفاعا ولا توجد بها ممرات يسهل المرور منها ،ولذلك كان لهذه الجبال أثر كبير في عزلة المغرب الأقصى عن سائر بلاد المغرب.

وتستمر جبال أطلس الكبرى ممتدة في المغرب الأوسط ، وتشمل جبال القصور ، وجبال العمور ، وجبال أولاد نايل ، وجبال الزاب ، وجبال أوراس ، وتنتهي بجبال زغوان في المغرب الأدنى . واغلب هذه الجبال تكسوها الغابات وتتوجها الثلوج . وتنحصر بين هاتين السلسلتين الجبليتين هضاب وسهول مرتفعة يشتغل فيها السكان برعي الماشية ، واغلب هذه الهضاب تقع ما بين جبال أطلس التل وأطلس الصحراوي في المغرب الأوسط.

القسم الثالث : الاقليم الصحراوي

يمتد هذا الإقليم من واحات برقة ،ثم فزان،وزويلة، وأرجلا الى سجلماسة ، إلى وادي درعة ، حتى بحر الظلمات(الأطلسي) غربا.

على الرغم من الصبغة الصحراوية التي حملها هذا الإقليم إلا أن فيه ينابيع المياه والواحات التي تنتشر في اغلب المواضع .

وعبر هذا الإقليم كانت القوافل التجارية تمر قادمة من مصر إلى المغرب الأقصى نظراً لقصر هذا الطريق عن الطريق الشمالي.

أما المناطق التي لا خصب فيها ولا ماء فهي الهضاب التي تمتد بين أطلس الكبرى والوسطى حتى بحر الظلمات ، ففي المغرب الأقصى توجد هضبة المزيتا ، وفي المغرب الأوسط تمتد هضبة الشطوط التي تتميز ببحيراتها ، وبينها بقع ممر تازة. وتعرف هذه الهضاب باسم الحماده.

أما السهول فتقع غالبا على ساحل بحر الظلمات(الأطلسي) والبحر الشامي(المتوسط) ، واشهرها سهل شاوية ودكالة وعبدة بالمغرب الأقصى ، أما السهول الساحلية في المغرب الأدنى فتكاد لا تذكر لضيقها.

وهناك سهول تكونت حول وديان صغيرة تجري فيها الأنهار وفيها سهل زيق بوهران وسهل وادي شليف في المغرب الأوسط ، وسهل وادي مجرة في المغرب الأدنى ، وسهلا فاس ومكناس الغنيين في المغرب الأقصى ، وكلاهما مرتفع .

وان هناك مجموعتان من السهول الداخلية . الأولى: تمتد من مصب نهر تنسيف الى وادي ملوية ، ويشتمل على السهل المطل على بحر الظلمات ، وسهول وادي سبو ، وممر تازة وسهول ملوية الدنيا التي تؤلف الطريق الطبيعي ما بين جبال أطلس والمغرب الأوسط ، والأخرى تشتمل على سهل الحوز، والذي يخترقه نهر تنسيف ثم منخفض تادلا .

أما المغرب الأدنى فيشتمل على سهول داخلية تقع حول الواحات.

ثالثا : البيئة الاجتماعية لبلاد المغرب العربي

سكن بلاد المغرب منذ أقدم العصور اقوام عرفوا باسم البربر ، والتسمية القديمة لسكان المغرب هي (أمازيغ) وهي كلمة بربرية معناها الرجل الحر الخشن أو الكريم النسب ، وهو الاسم الذي كان ولا يزال قسم من السكان في شمال أفريقية يطلقونه على الواحد منهم . ويجمع على(امازيغن) . أما كلمة بربر التي اطلقت على سكان المغرب فهي تسمية دخيلة اطلقها عليهم من غلب عليهم من الأمم كالرومان والاغريق.

هذا وقد سكن بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي ثلاث طوائف من السكان وهم:.

١ـ السكان وهم(الأيمازيغن) البربر

٢ـ الروم وهم البيزنطيون

٣ـ الأفارقة وهم طارئون على البلاد المغربية

١ـ البربر :

وهم السكان الذين يعمرون بلاد المغرب ، وقد تباينت آراء المؤرخين في تفسيرهم لكلمة البربر ، فمنهم من يفسرها تفسيراً لغوياً ، إذ كانت تختلط فيها الأصوات غير المفهومة . حتى قيل لهم: ((ما اكثر بربرتكم)) ، وقيل أن لغة البربر يكثر فيها استعمال حرف الباء والراء ، فقيل ما هذه البربرية.

وجاء أن اللغة هي المعيار الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في الوقت الحالي لتمييز الأمازيغ الذين يلاحظ في هيآتهم خصائص متنوعة جداً ، بل متباينة أحياناً ، فلا يمكن التحدث عن عِرق أمازيغي متجانس ، ولا سيما أنهم كانوا منقسمين فيما بينهم اشد الانقسام ، مما حال دون تشكيلهم أمة واحدة . ولا يزال شطر كبير من تاريخهم مجهولاً على وفرة الآثار الباقية من عصور ما قبل التاريخ في بلاد الأمازيغ

الواسعة . ومع وجود النقوش والصور الجدارية الكثيرة التي تشهد بمآثرهم التاريخية ، والكتب التي ألفها عنهم اليونان والرومان والعرب . وخير مثال على ذلك ، اللغة الأمازيغية التي لم يتم إلى اليوم تحديد المجموعة اللغوية التي تنتمي إليها ، ولهذا من الصعب تحديد الأصل الذي انحدر منه هذا الشعب في غابر الأزمان . مع العلم أن فرضيات كثيرة وضعت بشأنهم من بينها: أن الأمازيغ هم السكان الأصليون لشمالي أفريقية ولم يفدوا إلى هذه المنطقة من بلد آخر ، وقيل أيضاً أنهم اما شرقيون وأما ايجيون ((نسبة إلى بحر ايجة)) . أما المؤرخون العرب فيعدونهم شرقيين . أي كنعانيين أو حميريين وهي فرضية تبناها وعززها بالأدلة المستشرق هلفرتز ((hel ferist)) ، في حين انفردت فرضية الأصل الكنعاني بتأييد المؤلفين المحدثين ((أينشتاين ودوماس وسلوشز)) .

وينسب مؤرخو العرب والبربر الذين عنوا بأنساب البربر واحوالهم فيرجعون نسبهم إلى أصول عربية جزرية سامية . ويقولون أنهم من أبناء قيس عيلان .

يبدو أن فرضية الأصل الكنعاني هي الأقرب إلى الصحة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الامتداد الجغرافي من بلاد الشام حتى ساحل المحيط الأطلسي ، الذي يمثل وحدة جغرافية واحدة منذ القدم ، وأن انتشار الكنعانيين الذين نزحوا من الجزيرة العربية ، واستوطنوا في بلاد الشام ، التي عرفت مواطنهم بأسمائهم ، قد طرأ على استيطانهم هذا هجرات متتابعة توزعوا من خلالها بين طول ساحل البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي .

هذا وقد وصف ابن خلدون البربر بأنهم: " جيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم ملأوا البساط والجبال من تلوله وارباضه وامصاره ، يتخذون البيوت من الحجارة والطين . ومن الخوص والشجر . ومن الشعر والوبر ، وبظعن أهل العز والغلبة منهم لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة . لا يتجاوزون فيها ، الريف إلى الصحراء والقفار إلا مس ، ومكاسبهم الشاة والبقر ، والخيل في الغالب للركوب والنتاج ، وربما كانت الأبل من مكاسب أصل النجعة منهم شأن العرب ، ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والأضعان في نتاج الأبل ، وظلال الرماح وقطع السابلة ، ولباسهم واكثر اثاثهم من الصوف ، يشتملون الصماء بالأكسية المعلمة ويفرغون عليها البرانس الكحل ، ورؤوسهم في الغالب حاسرة ، وربما يتعاهدونها بالحلف" .

وقد كان البربر يتألفون من ثلاثة أقسام رئيسة :

القسم الأول: في شرقي البلاد (طرابلس وبرقة والجريد والأوراس) تقيم قبائل لواتة المتفرعة الى هوارة وأورغة ونفزاوة وأوربة .

القسم الثاني: في غرب البلاد(المغرب الأوسط والمغرب الأقصى) تقيم قبائل كتامة في منطقة القبائل الصغرى ، والزواوة في منطقة القبائل الكبرى ، والزناتة في الساحل الجزائري بين منطقة القبائل ونهر الشلف . وبنو يفرن في المنطقة الممتدة بين نهر الشلف شرقاً ونهر مولوية غرباً ، وغمارة في الريف المغربي ومصمودة على الساحل الأطلسي وجزولة في جبال الأطلس الكبير ، ولمطة في جنوبي المغرب ، وصنهاجة المعروفة باسم أهل اللثام التي تعيش عيشة البدو الرحل في الصحراء الغربية .

القسم الثالث: في البقاع المحاذية للهضاب العليا ، والممتدة من طرابلس إلى جبل عمور تقيم قبائل زناتة ، ومن تلك البقاع تنتشر تدريجياً نحو المغرب الأوسط والمغرب الأقصى .

وتتفرع قبائل المغرب إلى فرعين كبيرين هما:.

١ـ البتر

وتسموا نسبة إلى مادغيس بن بر بن قيس عيلان الملقب بالأبتر ، وقبائلهم كثيرة وتنتشر في مناطق واسعة من بلاد المغرب العربي . ومعظم قبائل البتر رحل يغلب عليهم التنقل من مكان لآخر طلباً للكلأ والماء ، ولذلك تنتشر في الأقاليم الممتدة من غدامس إلى السوس الأقصى . وهي تكون أغلب سكان القرى والمناطق الصحراوية .

وقد امتازت قبائل البتر بالروح الحربية العالية ، إذ يعد فرسانهم من اشجع فرسان قبائل البربر، وكان لهم دورٌ فاعل في نشر الإسلام في المغرب العربي والأندلس.

وينقسم البربر البتر إلى أربع عشائر رئيسة هي: ضريسه ،نفوسة ،أداسه وبنو لواي أو لواتة ، وتنقسم ضريسه إلى مكناسة ،وزناتة ،ويعد ابن خلدون زناتة فرعاً من البربر قائماً بذاته ،ومن زناتة جراوة ومغراوة ، وبنو يفرن وبنو زيان وبنو مرين.

وكان للزناتيين فن خاص بهم ، يقوم على استعمال الدروع الجلدية وركوب الخيول الخفيفة ذات الركاب المرتفع ، وكانت طريقتهم في القتال تقوم على خفة الحركة وسرعة الكر والفر.

٢ـ **البرانس :**

وهم الفرع الآخر من قبائل البربر ، وعرفت هذه القبائل بالاستقرار والسكن في المدن ، وكان معظمهم ينزل في المناطق الساحلية الغربية من البحر والمناطق الجبلية الممتدة عبر المغرب وقيل هم يتحضرون بالحضارة اللاتينية.

ويبدو ذلك التحضر متأثراً بثقافة سكان البحر المتوسط وحضارته ، كالرومان والوندال وغيرهم .

ومن أشهر قبائل البرانس ، قبيلة صنهاجة التي تتكون بدورها من مجموعة قبائل امتدت بطونها وفروعها إلى مختلف أنحاء المغرب. وقبائل أزداجة وأوربة ، وأوريغة وكتامة وعجيسة ، واضاف النسابة قبائل لمطة

وهسكورة وجزولة. وقبائل أوربة ومواطنهم المعروفة في مناطق تلمسان ، ثم انتقلت إلى مناطق وليلى بعد اندحار كسيلة أمام زهير بن قيس البلوي سنة ٦٩هـ ، ومن قبائلهم ديقوسه وزهجولة ولجاية ومزياته ونفاسة وتيجة

وقبائل اوريغة أو هوارة وهم بنو اوريغ بن برنس ويقال انهم من عرب اليمن وإنهم أحد بطون قضاعة ، وتارة يقال: إنهم من ولد المسور بن الكاسك بن خمير.

وقبائل مصمودة وهم أبناء مصمود بن برنس ، ومواطنهم الأصلية في شمال المغرب الأقصى .

وتبدأ رقعة انتشارها من حدود بلاد الريف إلى بجر الظلمات غرباً ثم تمتد إلى الجنوب إلى تامسنة ودكالة حتى جبال الأطلس الكبير والمناطق المطلق على إقليم السوس ، وقد اختصت مصمودة بسكنى جبال المغرب الأقصى ، وظلت على حالها حتى دخول القوات الإسلامية بلاد المغرب . وكذلك من قبائل مصمودة قبيلة برغواطة.

هذا وقد اتصف البربر بصفات أعطت دليلاً للمؤرخين ليثبتوا انهم من أصول عربية ، إذ تتلخص تلك الصفات بـ :

١ـ استعمالهم الخيول الأصيلة لاسيما في معاركهم ، وبخاصة الخيول الخفيفة ذات الركاب المرتفع .

٢ـ طريقتهم في القتال تمتاز بخفة الحركة وسرعة الكر والفر ، وهي فنون عرف بها العرب .

٣ـ التكوين القبلي والعشائري للبربر ، إذ يكون متشابهاً للتكوين القبلي في جزيرة العرب وما يحيط بها .

٤ـ الطبيعة البدوية التي تميز قبائل الصحراء المغربية الكبرى ، كاستعمالهم لبيوت الشعر واستعمال الجمال للتنقل .

٥ـ عزة النفس و(الأنفة) التي يمتلكها العربي ويثور ويغضب لها وترتعد لها فرائسه لاسيما عندما تُمس كرامته .

٦ـ اعتزازه بشرفه ، ويمثل الشرف أعلى مراتب الكرامة والخلق العربي .

٧ـ الكرم والغيرة التي اتصف بها البربر ، وهي صفة ملازمة للعربي أينما رحل أو حط .

٨ـ اعتزاز البربر بانتسابهم للعرب لا يعادله اعتزاز ، وقد استمسك بها كُتابهم وشعراؤهم وافتخروا بها على من عداهم .

٩ـ قرب حروف اللغة الأمازيغية من حروف اللغة العربية ، من جهة "، واستعمال الحروف العربية بالنطق إذ ينطق الأمازيغ بالعربية لتشابه الحروف من جهة أخرى .

١٠ـ أسلوب كتابة الحروف عند الأمازيغ من اليمين الى اليسار وهذا حال الكتابة بالعربية .

٣ـ الأقليات :

لقد سكن المغرب العربي من غير قبائله من البربر أقليات غير وطنية . ومن هذه الأقليات:ـ

أـ الروم البيزنطيون

وهم الجاليات الرومانية التي آثرت البقاء في المغرب ، وكانوا يتمركزون في بعض إقليم الجريد وقسطيليه. وهؤلاء كانوا يدينون بالنصرانية . وعندما دخل المسلمون المغرب ، دخل بعضهم الإسلام .

ب ـ الأفارقة

وهم جاءوا مع الرومان ودخلوا في خدمتهم واختلطوا بهم حتى انهم تأثروا بهم وبعاداتهم وتقاليدهم ، واعتنقوا النصرانية ، وكانوا مؤيدين ومناصرين للخارجين على السلطة المركزية في المغرب. وقد سلم الكثير منهم على يد العرب المسلمين بعد التحرير .

ج ـ السودان

ويشكلون نسبة قليلة ويعود وجودهم في المغرب الى العهد القديم بحكم العلاقة التي كانت تربط المغرب مع الأمم السودانية

زيادة على ذلك كان هناك الأقلية اليهودية التي انتشرت في المغرب وكانوا يمارسون الأعمال التجارية والصناعية والمرابات ، وذلك شأنهم في كل زمان ومكان .

رابعاً: الحياة الدينية لبلاد المغرب

لقد تباينت المعتقدات الدينية لسكان المغرب عبر التاريخ ، إذ كانت الديانة بحسب طبيعة تبعية البلاد . وكانت تلك الديانات والمعتقدات ، منها معتقدات سماوية ومنها الوثنية والمجوسية ، إذ تبلورت تلك المعتقدات بدءاً باتخاذهم مظاهر الطبيعة آلهة لهم يقدمون لها القرابين ويقدسونها . منها الآلهة ما كورنا ويونا وماركو رفوس ومانيلا.

ووصل تطور المعتقد عندهم إلى أن قدسوا ملوكهم واعتبروهم آلهة.

ويبدو انهم قد تأثروا بثقافة سكان البحر المتوسط الساحل الشرقي ، إذ كانوا يعتقدون بأن الملك آلهة وهو مصان غير مسؤول ويحكم على وفق نظرية الحق الإلهي .

ايضاً عرفوا عبادة الأصنام والأوثان ، إذ كانت اقوام من جروارة وملكتهم الكاهنة وموطنهم جبال أوراس يعبدون صنماً كبيراً من الخشب.

زيادة على ذلك كانت أعمال السحر والشعوذة والتنبؤ سائدة ومنتشرة بين سكان المغرب وكانوا يعتقدون بها ، ولذلك كانت عقليتهم سريعة الانقياد للزعماء والقواد الذين يعرفون استغلال هذا الضعف ،

ولهذا ترى أن كل الحركات السياسية المشهورة في المغرب تزعمها أناس باسم الدين واستخدموا السحر والخرافات لجذب الأنصار والأتباع ، وخير مثال ثورة الكاهنة التي قاومت الفتح الإسلامي.

ثم تأثر المغرب بالمعتقد الجديد وهو دين المسيحية ، إذ بعد انتشاره في الجزيرة وحوض البحر المتوسط ، أدى إلى الانتشار بين القبائل المغاربية التي تستوطن المدن الساحلية التي كانت خاضعة أو مجاورة للسيادة الرومانية البيزنطية ، ثم أخذت المسيحية تتغلغل داخل مناطق المغرب لاسيما العمق من المغرب وصولاً إلى الصحراء والساحل الأطلسي . علماً أن الديانة الموسوية نسبة لبني اسرائيل كانت قد وجدت لها مكاناً في بلاد المغرب ولو كان محدوداً ، إلا أنه عندما وطئت النصرانية أرض المغرب وجدت مكاناً أوسع لها من الموسوية .

والحقيقة أن جميع تلك الديانات لم تكن ذات تأثير نفسي عميق وكبير على السكان المغاربة ، بل كان تأثيرها سطحياً ضعيفاً ، ولم يكن لها الغلبة بدليل أن المسلمين لم يجدوا الصعوبة البالغة في كسب ود المغاربة ودخولهم بالإسلام ، حتى أصبحوا من أشد الناس دفاعاً عنه.

وروي عن سيدنا عمر بن الخطاب((رضي الله عنه)) أنه قال: "والله لقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فنظرت الى قلة الجيش وبكيت فقال لي رسول الله **ثانياً : جغرافية بلاد المغرب العربي**

يؤلف المغرب العربي بأقاليمه الثلاث ، ابتداء من خليج سرت حتى بحر الظلمات(المحيط الأطلسي) ، وحدة جغرافية وبشرية مستقلة عن غيرها ،فقد كانت ولا تزال ترتبط بروابط طبيعية وسياسية وثيقة ، سكنها منذ أقدم العصور التاريخية عنصر واحد من السكان . ذكر ابن خلدون أن "المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار" ،ولذلك كان له طابعه الخاص به ،وكانت حضارته حضارة منعزلة منطوية على نفسها ،ونلاحظ أن هذه العزلة التي فرضتها طبيعة البلاد أثرت تأثيرا عميقا في اللغة والدين ،فللمغرب لغته الخاصة بجانب اللغة العربية ،وللمغرب مذهبه المالكي الذي حافظ عليه على مر السنين .

هذا وتنقسم طبيعة البلاد الجغرافية الى ثلاثة اقسام هي:-

القسم الأول : الإقليم الساحلي

يمتد هذا الإقليم على طول شواطئ البحر الشامي(المتوسط) ،حتى مدينة طنجة،ثم يستمر محاذيا لبحر الظلمات حتى مدينة نول في بلاد السوس ،وأغلب هذه المناطق مناطق سهلية صالحة للزراعة.

القسم الثاني : الاقليم الجبلي

تخترق البلاد المغربية سلسلة جبال ،وهي جبال ضيقة وعرة الدروب والمسالك وتنقسم هذه السلسلة الى ثلاثة أقسام:-

الأطلس الساحلي : ويمتد غربا من جبال أنجيزه على ساحل بحر الزقاق(مضيق جبل طارق) ويشمل جبال غماره وجبال الريف وجبال بسني يزناتن ترارة وبدوغ وغيرها ،وهي جبال متوسطة الارتفاع ،وأكثرها ارتفاعا جبل بني حسن الذي يبلغ ارتفاعه ما يقارب من الفي متر . وتتخذ هذه الجبال شكل قوس يحتضن الساحل الشمالي، وأهمها:

١- **أطلس التل:** وهي سلسلة جبلية تمتد من المغرب الأقصى وتنتهي في تونس بجبال الخمير وتشمل جبال كندافة وكلاوة والمدحوس وبادر وتلمسان وونشريس والجرجرة . وتمتاز هذه الجبال بارتفاعها وانحدارها الشديد نحو السواحل الشمالية،ونحو الأحواض الجنوبية المنعزلة بين أطلس التل وأطلس المتوسط ،وعلى الأخص في القسم الغربي من المغرب الأوسط .أما الجزء الشرقي فأقل ارتفاعا وأكثر تقطعا.

٢- **الأطلس الصحراوي:** وتبدأ هذه السلسلة من المغرب الأقصى ،إذ تحمل أسم جبال أطلس الكبرى ،وهي اكثر جبال أطلس ارتفاعا ولا توجد بها ممرات يسهل المرور منها ،ولذلك كان لهذه الجبال أثر كبير في عزلة المغرب الأقصى عن سائر بلاد المغرب.

وتستمر جبال أطلس الكبرى ممتدة في المغرب الأوسط ، وتشمل جبال القصور ، وجبال العمور ، وجبال أولاد نايل ، وجبال الزاب ، وجبال أوراس ، وتنتهي بجبال زغوان في المغرب الأدنى . واغلب هذه الجبال تكسوها الغابات وتتوجها الثلوج . وتنحصر بين هاتين السلسلتين الجبليتين هضاب وسهول مرتفعة يشتغل فيها السكان برعي الماشية ، واغلب هذه الهضاب تقع ما بين جبال أطلس التل وأطلس الصحراوي في المغرب الأوسط

القسم الثالث : الاقليم الصحراوي

يمتد هذا الإقليم من واحات برقة ،ثم فزان ،وزويلة، وأرجلا الى سجلماسة، إلى وادي درعة ، حتى بحر الظلمات(الأطلسي) غربا.

على الرغم من الصبغة الصحراوية التي حملها هذا الإقليم إلا أن فيه ينابيع المياه والواحات التي تنتشر في اغلب المواضع .

وعبر هذا الإقليم كانت القوافل التجارية تمر قادمة من مصر إلى المغرب الأقصى نظراً لقصر هذا الطريق عن الطريق الشمالي.

أما المناطق التي لا خصب فيها ولا ماء فهي الهضاب التي تمتد بين أطلس الكبرى والوسطى حتى بحر الظلمات ، ففي المغرب الأقصى توجد هضبة المزيتا ، وفي المغرب الأوسط تمتد هضبة الشطوط التي تتميز ببحيراتها ، وبينها بقع ممر تازة. وتعرف هذه الهضاب باسم الحماده.

أما السهول فتقع غالبا على ساحل بحر الظلمات(الأطلسي) والبحر الشامي(المتوسط) ، واشهرها سهل شاوية ودكالة وعبدة بالمغرب الأقصى ، أما السهول الساحلية في المغرب الأدنى فتكاد لا تذكر لضيقها.

وهناك سهول تكونت حول وديان صغيرة تجري فيها الأنهار وفيها سهل زيق بوهران وسهل وادي شليف في المغرب الأوسط ، وسهل وادي مجرة في المغرب الأدنى ، وسهلا فاس ومكناس الغنيين في المغرب الأقصى ، وكلاهما مرتفع .

وان هناك مجموعتان من السهول الداخلية . الأولى: تمتد من مصب نهر تنسيف الى وادي ملوية ، ويشتمل على السهل المطل على بحر الظلمات ، وسهول وادي سبو ، وممر تازة وسهول ملوية الدنيا التي تؤلف الطريق الطبيعي ما بين جبال أطلس والمغرب الأوسط ، والأخرى تشتمل على سهل الحوز، والذي يخترقه نهر تنسيف ثم منخفض تادلا .

أما المغرب الأدنى فيشتمل على سهول داخلية تقع حول الواحات

ثالثا : التقسيمات الاجتماعية لبلاد المغرب العربي

سكن بلاد المغرب منذ أقدم العصور اقوام عرفوا باسم البربر ، والتسمية القديمة لسكان المغرب هي (أمازيغ) وهي كلمة بربرية معناها الرجل الحر الخشن أو الكريم النسب ، وهو الاسم الذي كان ولا يزال قسم من السكان في شمال أفريقية يطلقونه على الواحد منهم . ويجمع على(امازيغن) . أما كلمة بربر التي اطلقت على سكان المغرب فهي تسمية دخيلة اطلقها عليهم من غلب عليهم من الأمم كالرومان والاغريق.

هذا وقد سكن بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي ثلاث طوائف من السكان وهم:.

١ـ السكان وهم(الأيمازيغن) البربر

٢ـ الروم وهم البيزنطيون

٣ـ الأفارقة وهم طارئون على البلاد المغربية

١ـ **البربر :**

وهم السكان الذين يعمرون بلاد المغرب ، وقد تباينت آراء المؤرخين في تفسيرهم لكلمة البربر ، فمنهم من يفسرها تفسيراً لغوياً ، إذ كانت تختلط فيها الأصوات غير المفهومة . حتى قيل لهم: ((ما اكثر بربرتكم)) ، وقيل أن لغة البربر يكثر فيها استعمال حرف الباء والراء ، فقيل ما هذه البربرية.

وجاء في ((دائرة المعارف الإسلامية)) أن اللغة هي المعيار الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في الوقت الحالي لتمييز الأمازيغ الذين يلاحظ في هيآتهم خصائص متنوعة جداً ، بل متباينة أحياناً ، فلا يمكن التحدث عن عِرق أمازيغي متجانس ، ولا سيما أنهم كانوا منقسمين فيما بينهم اشد الانقسام ، مما حال دون

تشكيلهم أمة واحدة . ولا يزال شطر كبير من تاريخهم مجهولاً على وفرة الآثار الباقية من عصور ما قبل التاريخ في بلاد الأمازيغ الواسعة . ومع وجود النقوش والصور الجدارية الكثيرة التي تشهد بمآثرهم التاريخية ، والكتب التي ألفها عنهم اليونان والرومان والعرب . وخير مثال على ذلك ، اللغة الأمازيغية التي لم يتم إلى اليوم تحديد المجموعة اللغوية التي تنتمي إليها ، ولهذا من الصعب تحديد الأصل الذي انحدر منه هذا الشعب في غابر الأزمان . مع العلم أن فرضيات كثيرة وضعت بشأنهم من بينها: أن الأمازيغ هم السكان الأصليون لشمالي أفريقية ولم يفدوا إلى هذه المنطقة من بلد آخر ، وقيل أيضاً أنهم اما شرقيون وأما ايجيون ((نسبة إلى بحر ايجة)) . أما المؤرخون العرب فيعدونهم شرقيين . أي كنعانيين أو حميريين وهي فرضية تبناها وعززها بالأدلة المستشرق هلفرتز ، في حين انفردت فرضية الأصل الكنعاني بتأييد المؤلفين المحدثين ((أينشتاين ودوماس وسلوشز)) .

وينسب مؤرخو العرب والبربر الذين عنوا بأنساب البربر واحوالهم فيرجعون نسبهم إلى أصول عربية جزرية سامية . ويقولون أنهم من أبناء قيس عيلان .

يبدو أن فرضية الأصل الكنعاني هي الأقرب إلى الصحة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الامتداد الجغرافي من بلاد الشام حتى ساحل المحيط الأطلسي ، الذي يمثل وحدة جغرافية واحدة منذ القدم ، وأن انتشار الكنعانيين الذين نزحوا من الجزيرة العربية ، واستوطنوا في بلاد الشام ، التي عرفت مواطنهم بأسمائهم ، قد طرأ على استيطانهم هذا هجرات متتابعة توزعوا من خلالها بين طول ساحل البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي .

هذا وقد وصف ابن خلدون البربر بأنهم: " جيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم ملأوا البساط والجبال من تلوله وارباضه وامصاره ، يتخذون البيوت من الحجارة والطين . ومن الخوص والشجر . ومن الشعر والوبر ، وبظعن أهل العز والغلبة منهم لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة . لا يتجاوزون فيها ، الريف إلى الصحراء والقفار إلا مس ، ومكاسبهم الشاة والبقر ، والخيل في الغالب للركوب والنتاج ، وربما كانت الأبل من مكاسب أصل النجعة منهم شأن العرب ، ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والأضعان في نتاج الأبل ، وظلال الرماح وقطع السابلة ، ولباسهم واكثر اثاثهم من الصوف ، يشتملون الصماء بالأكسية المعلمة ويفرغون عليها البرانس الكحل ، ورؤوسهم في الغالب حاسرة ، وربما يتعاهدونها بالحلف".

وقد كان البربر يتألفون من ثلاثة أقسام رئيسة :

القسم الأول: في شرقي البلاد (طرابلس وبرقة والجريد والأوراس) تقيم قبائل لواتة المتفرعة الى هوارة وأورغة ونفزاوة وأوربة .

القسم الثاني: في غرب البلاد(المغرب الأوسط والمغرب الأقصى) تقيم قبائل كتامة في منطقة القبائل الصغرى ، والزواوة في منطقة القبائل الكبرى ، والزناتة في الساحل الجزائري بين منطقة القبائل ونهر الشلف . وبنو يفرن في المنطقة الممتدة بين نهر الشلف شرقاً ونهر مولوية غرباً ، وغمارة في الريف المغربي ومصمودة على الساحل الأطلسي وجزولة في جبال الأطلس الكبير ، ولمطة في جنوبي المغرب ، وصنهاجة المعروفة باسم أهل اللثام التي تعيش عيشة البدو الرحل في الصحراء الغربية .

القسم الثالث: في البقاع المحاذية للهضاب العليا ، والممتدة من طرابلس إلى جبل عمور تقيم قبائل زناتة ، ومن تلك البقاع تنتشر تدريجياً نحو المغرب الأوسط والمغرب الأقصى .

وتتفرع قبائل المغرب إلى فرعين كبيرين هما:.

١ـ البتر

وتسموا نسبة إلى مادغيس بن بر بن قيس عيلان الملقب بالأبتر ، وقبائلهم كثيرة وتنتشر في مناطق واسعة من بلاد المغرب العربي . ومعظم قبائل البتر رحل يغلب عليهم التنقل من مكان لآخر طلباً للكلأ والماء ، ولذلك تنتشر في الأقاليم الممتدة من غدامس إلى السوس الأقصى . وهي تكون أغلب سكان القرى والمناطق الصحراوية .

وقد امتازت قبائل البتر بالروح الحربية العالية ، إذ يعد فرسانهم من اشجع فرسان قبائل البربر، وكان لهم دورٌ فاعل في نشر الإسلام في المغرب العربي والأندلس.

وينقسم البربر البتر إلى أربع عشائر رئيسة هي: ضريسه ،نفوسة ،أداسه وبنو لواي أو لواتة ، وتنقسم ضريسه إلى مكناسة ،وزناتة ،ويعد ابن خلدون زناتة فرعاً من البربر قائماً بذاته ،ومن زناتة جراوة ومغراوة ، وبنو يفرن وبنو زيان وبنو مرين.

وكان للزناتيين فن خاص بهم ، يقوم على استعمال الدروع الجلدية وركوب الخيول الخفيفة ذات الركاب المرتفع ، وكانت طريقتهم في القتال تقوم على خفة الحركة وسرعة الكر والفر.

٢ـ **البرانس :**

وهم الفرع الآخر من قبائل البربر ، وعرفت هذه القبائل بالاستقرار والسكن في المدن ، وكان معظمهم ينزل في المناطق الساحلية الغربية من البحر والمناطق الجبلية الممتدة عبر المغرب وقيل هم يتحضرون بالحضارة اللاتينية.

ويبدو ذلك التحضر متأثراً بثقافة سكان البحر المتوسط وحضارته ، كالرومان والوندال وغيرهم .

ومن أشهر قبائل البرانس ، قبيلة صنهاجة التي تتكون بدورها من مجموعة قبائل امتدت بطونها وفروعها إلى مختلف أنحاء المغرب. وقبائل أزداجة وأوربة ، وأوريغة وكتامة وعجيسة ، واضاف النسابة قبائل لمطة

وهسكورة وجزولة. وقبائل أوربة ومواطنهم المعروفة في مناطق تلمسان ، ثم انتقلت إلى مناطق وليلى بعد اندحار كسيلة أمام زهير بن قيس البلوي سنة ٦٩هـ ، ومن قبائلهم ديقوسه وزهجولة ولجاية ومزياته ونفاسة وتيجة

وقبائل اوريغة أو هوارة وهم بنو اوريغ بن برنس ويقال انهم من عرب اليمن وإنهم أحد بطون قضاعة ، وتارة يقال: إنهم من ولد المسور بن الكاسك بن خمير.

وقبائل مصمودة وهم أبناء مصمود بن برنس ، ومواطنهم الأصلية في شمال المغرب الأقصى .

وتبدأ رقعة انتشارها من حدود بلاد الريف إلى بجر الظلمات غرباً ثم تمتد إلى الجنوب إلى تامسنة ودكالةحتى جبال الأطلس الكبير والمناطق المطلق على إقليم السوس ، وقد اختصت مصمودة بسكنى جبال المغرب الأقصى ، وظلت على حالها حتى دخول القوات الإسلامية بلاد المغرب . وكذلك من قبائل مصمودة قبيلة برغواطة.

هذا وقد اتصف البربر بصفات أعطت دليلاً للمؤرخين ليثبتوا انهم من أصول عربية ، إذ تتلخص تلك الصفات بـ :

١ـ استعمالهم الخيول الأصيلة لاسيما في معاركهم ، وبخاصة الخيول الخفيفة ذات الركاب المرتفع .

٢ـ طريقتهم في القتال تمتاز بخفة الحركة وسرعة الكر والفر ، وهي فنون عرف بها العرب .

٣ـ التكوين القبلي والعشائري للبربر ، إذ يكون متشابهاً للتكوين القبلي في جزيرة العرب وما يحيط بها .

٤ـ الطبيعة البدوية التي تميز قبائل الصحراء المغربية الكبرى ، كاستعمالهم لبيوت الشعر واستعمال الجمال للتنقل .

٥ـ عزة النفس و(الأنفة) التي يمتلكها العربي ويثور ويغضب لها وترتعد لها فرائسه لاسيما عندما تُمس كرامته .

٦ـ اعتزازه بشرفه ، ويمثل الشرف أعلى مراتب الكرامة والخلق العربي .

٧ـ الكرم والغيرة التي اتصف بها البربر ، وهي صفة ملازمة للعربي أينما رحل أو حط .

٨ـ اعتزاز البربر بانتسابهم للعرب لا يعادله اعتزاز ، وقد استمسك بها كُتابهم وشعراؤهم وافتخروا بها على من عداهم .

٩ـ قرب حروف اللغة الأمازيغية من حروف اللغة العربية ، من جهة "، واستعمال الحروف العربية بالنطق إذ ينطق الأمازيغ بالعربية لتشابه الحروف من جهة أخرى .

١٠ـ أسلوب كتابة الحروف عند الأمازيغ من اليمين الى اليسار وهذا حال الكتابة بالعربية .

٣ـ الأقليات :

لقد سكن المغرب العربي من غير قبائله من البربر أقليات غير وطنية . ومن هذه الأقليات:ـ

أـ الروم البيزنطيون

وهم الجاليات الرومانية التي آثرت البقاء في المغرب ، وكانوا يتمركزون في بعض إقليم الجريد وقسطيليه. وهؤلاء كانوا يدينون بالنصرانية . وعندما دخل المسلمون المغرب ، دخل بعضهم الإسلام .

ب ـ الأفارقة

وهم جاءوا مع الرومان ودخلوا في خدمتهم واختلطوا بهم حتى انهم تأثروا بهم وبعاداتهم وتقاليدهم ، واعتنقوا النصرانية ، وكانوا مؤيدين ومناصرين للخارجين على السلطة المركزية في المغرب. وقد سلم الكثير منهم على يد العرب المسلمين بعد التحرير .

ج ـ السودان

ويشكلون نسبة قليلة ويعود وجودهم في المغرب الى العهد القديم بحكم العلاقة التي كانت تربط المغرب مع الأمم السودانية

زيادة على ذلك كان هناك الأقلية اليهودية التي انتشرت في المغرب وكانوا يمارسون الأعمال التجارية والصناعية والمرابات ، وذلك شأنهم في كل زمان ومكان .

خامسا: الحياة الدينية لبلاد المغرب

لقد تباينت المعتقدات الدينية لسكان المغرب عبر التاريخ ، إذ كانت الديانة بحسب طبيعة تبعية البلاد . وكانت تلك الديانات والمعتقدات ، منها معتقدات سماوية ومنها الوثنية والمجوسية ، إذ تبلورت تلك المعتقدات بدءاً باتخاذهم مظاهر الطبيعة آلهة لهم يقدمون لها القرابين ويقدسونها . منها الآلهة ما كورنا ويونا وماركو رفوس ومانيلا .

ووصل تطور المعتقد عندهم إلى أن قدسوا ملوكهم واعتبروهم آلهة.

ويبدو انهم قد تأثروا بثقافة سكان البحر المتوسط الساحل الشرقي ، إذ كانوا يعتقدون بأن الملك آلهة وهو مصان غير مسؤول ويحكم على وفق نظرية الحق الإلهي .

ايضاً عرفوا عبادة الأصنام والأوثان ، إذ كانت اقوام من جروارة وملكتهم الكاهنة وموطنهم جبال أوراس يعبدون صنماً كبيراً من الخشب .

زيادة على ذلك كانت أعمال السحر والشعوذة والتنبؤ سائدة ومنتشرة بين سكان المغرب وكانوا يعتقدون بها ، ولذلك كانت عقليتهم سريعة الانقياد للزعماء والقواد الذين يعرفون استغلال هذا الضعف ،

ولهذا ترى أن كل الحركات السياسية المشهورة في المغرب تزعمها أناس باسم الدين واستخدموا السحر والخرافات لجذب الأنصار والأتباع ، وخير مثال ثورة الكاهنة التي قاومت الفتح الإسلامي.

ثم تأثر المغرب بالمعتقد الجديد وهو دين المسيحية ، إذ بعد انتشاره في الجزيرة وحوض البحر المتوسط ، أدى إلى الانتشار بين القبائل المغاربية التي تستوطن المدن الساحلية التي كانت خاضعة أو مجاورة للسيادة الرومانية البيزنطية ، ثم أخذت المسيحية تتغلغل داخل مناطق المغرب لاسيما العمق من المغرب وصولاً إلى الصحراء والساحل الأطلسي . علماً أن الديانة الموسوية نسبة لبني اسرائيل كانت قد وجدت لها مكاناً في بلاد المغرب ولو كان محدوداً ، إلا أنه عندما وطئت النصرانية أرض المغرب وجدت مكاناً أوسع لها من الموسوية .

والحقيقة أن جميع تلك الديانات لم تكن ذات تأثير نفسي عميق وكبير على السكان المغاربة ، بل كان تأثيرها سطحياً ضعيفاً ، ولم يكن لها الغلبة بدليل أن المسلمين لم يجدوا الصعوبة البالغة في كسب ود المغاربة ودخولهم بالإسلام ، حتى أصبحوا من أشد الناس دفاعاً عنه .

وروي عن سيدنا عمر بن الخطاب((رضي الله عنه)) أنه قال: "والله لقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فنظرت الى قلة الجيش وبكيت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمر لا تحزن فأن الله سيعز هذا الدين بقوم من المغرب...."

ثانياً : جغرافية بلاد المغرب العربي

يؤلف المغرب العربي بأقاليمه الثلاث ، ابتداء من خليج سرت حتى بحر الظلمات(المحيط الأطلسي) ، وحدة جغرافية وبشرية مستقلة عن غيرها ،فقد كانت ولا تزال ترتبط بروابط طبيعية وسياسية وثيقة ، سكنها منذ أقدم العصور التاريخية عنصر واحد من السكان . ذكر ابن خلدون أن "المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار" ،ولذلك كان له طابعه الخاص به ،وكانت حضارته حضارة منعزلة منطوية على نفسها ،ونلاحظ أن هذه العزلة التي فرضتها طبيعة البلاد أثرت تأثيرا عميقا في اللغة والدين ،فللمغرب لغته الخاصة بجانب اللغة العربية ،وللمغرب مذهبه المالكي الذي حافظ عليه على مر السنين .

هذا وتنقسم طبيعة البلاد الجغرافية الى ثلاثة اقسام هي:.

القسم الأول : الإقليم الساحلي

يمتد هذا الإقليم على طول شواطئ البحر الشامي(المتوسط) ،حتى مدينة طنجة ،ثم يستمر محاذيا لبحر الظلمات حتى مدينة نول في بلاد السوس ،وأغلب هذه المناطق مناطق سهلية صالحة للزراعة.

القسم الثاني : الاقليم الجبلي

تخترق البلاد المغربية سلسلة جبال ،وهي جبال ضيقة وعرة الدروب والمسالك وتنقسم هذه السلسلة الى ثلاثة أقسام:.

الأطلس الساحلي : ويمتد غربا من جبال أنجيزه على ساحل بحر الزقاق(مضيق جبل طارق) ويشمل جبال غماره وجبال الريف وجبال بسني يزناتن ترارة وبدوغ وغيرها ،وهي جبال متوسطة الارتفاع ،وأكثرها ارتفاعا جبل بني حسن الذي يبلغ ارتفاعه ما يقارب من الفي متر . وتتخذ هذه الجبال شكل قوس يحتضن الساحل الشمالي، وأهمها:

١. **أطلس التل:** وهي سلسلة جبلية تمتد من المغرب الأقصى وتنتهي في تونس بجبال الخمير وتشمل جبال كندافة وكلاوة والمدحوس وبادر وتلمسان وونشريس والجرجرة . وتمتاز هذه الجبال بارتفاعها وانحدارها الشديد نحو السواحل الشمالية،ونحو الأحواض الجنوبية المنعزلة بين أطلس التل وأطلس المتوسط ،وعلى الأخص في القسم الغربي من المغرب الأوسط.أما الجزء الشرقي فأقل ارتفاعا وأكثر تقطعا.

٢. **الأطلس الصحراوي:** وتبدأ هذه السلسلة من المغرب الأقصى ،إذ تحمل أسم جبال أطلس الكبرى ،وهي اكثر جبال أطلس ارتفاعا ولا توجد بها ممرات يسهل المرور منها ،ولذلك كان لهذه الجبال أثر كبير في عزلة المغرب الأقصى عن سائر بلاد المغرب.

وتستمر جبال أطلس الكبرى ممتدة في المغرب الأوسط ، وتشمل جبال القصور ، وجبال العمور ، وجبال أولاد نايل ، وجبال الزاب ، وجبال أوراس ، وتنتهي بجبال زغوان في المغرب الأدنى . واغلب هذه الجبال تكسوها الغابات وتتوجها الثلوج . وتنحصر بين هاتين السلسلتين الجبليتين هضاب وسهول مرتفعة يشتغل فيها السكان برعي الماشية ، واغلب هذه الهضاب تقع ما بين جبال أطلس التل وأطلس الصحراوي في المغرب الأوسط

القسم الثالث : الاقليم الصحراوي

يمتد هذا الإقليم من واحات برقة،ثم فزان،وزويلة، وأرجلا الى سجلماسة، إلى وادي درعة ، حتى بحر الظلمات(الأطلسي) غربا.

على الرغم من الصبغة الصحراوية التي حملها هذا الإقليم إلا أن فيه ينابيع المياه والواحات التي تنتشر في اغلب المواضع .

وعبر هذا الإقليم كانت القوافل التجارية تمر قادمة من مصر إلى المغرب الأقصى نظراً لقصر هذا الطريق عن الطريق الشمالي.

أما المناطق التي لا خصب فيها ولا ماء فهي الهضاب التي تمتد بين أطلس الكبرى والوسطى حتى بحر الظلمات ، ففي المغرب الأقصى توجد هضبة المزيتا ، وفي المغرب الأوسط تمتد هضبة الشطوط التي تتميز ببحيراتها ، وبينها بقع ممر تازة. وتعرف هذه الهضاب باسم الحماده.

أما السهول فتقع غالبا على ساحل بحر الظلمات(الأطلسي) والبحر الشامي(المتوسط) ، واشهرها سهل شاوية ودكالة وعبدة بالمغرب الأقصى ، أما السهول الساحلية في المغرب الأدنى فتكاد لا تذكر لضيقها.

وهناك سهول تكونت حول وديان صغيرة تجري فيها الأنهار وفيها سهل زيق بوهران وسهل وادي شليف في المغرب الأوسط ، وسهل وادي مجرة في المغرب الأدنى ، وسهلا فاس ومكناس الغنيين في المغرب الأقصى ، وكلاهما مرتفع .

وان هناك مجموعتان من السهول الداخلية . الأولى: تمتد من مصب نهر تنسيف الى وادي ملوية ، ويشتمل على السهل المطل على بحر الظلمات ، وسهول وادي سبو ، وممر تازة وسهول ملوية الدنيا التي تؤلف الطريق الطبيعي ما بين جبال أطلس والمغرب الأوسط ، والأخرى تشتمل على سهل الحوز، والذي يخترقه نهر تنسيف ثم منخفض تادلا .

أما المغرب الأدنى فيشتمل على سهول داخلية تقع حول الواحات.

ثالثا: الحياة الدينية لبلاد المغرب

لقد تباينت المعتقدات الدينية لسكان المغرب عبر التاريخ ، إذ كانت الديانة بحسب طبيعة تبعية البلاد . وكانت تلك الديانات والمعتقدات ، منها معتقدات سماوية ومنها الوثنية والمجوسية ، إذ تبلورت تلك المعتقدات بدءاً باتخاذهم مظاهر الطبيعة آلهة لهم يقدمون لها القرابين ويقدسونها . منها الآلهة ما كورنا ويونا وماركو رفوس ومانيلا.

ووصل تطور المعتقد عندهم إلى أن قدسوا ملوكهم واعتبروهم آلهة.

ويبدو انهم قد تأثروا بثقافة سكان البحر المتوسط الساحل الشرقي ، إذ كانوا يعتقدون بأن الملك آلهة وهو مصان غير مسؤول ويحكم على وفق نظرية الحق الإلهي .

ايضاً عرفوا عبادة الأصنام والأوثان ، إذ كانت اقوام من جروارة وملكتهم الكاهنة وموطنهم جبال أوراس يعبدون صنماً كبيراً من الخشب.

زيادة على ذلك كانت أعمال السحر والشعوذة والتنبؤ سائدة ومنتشرة بين سكان المغرب وكانوا يعتقدون بها ، ولذلك كانت عقليتهم سريعة الانقياد للزعماء والقواد الذين يعرفون استغلال هذا الضعف ،

ولهذا ترى أن كل الحركات السياسية المشهورة في المغرب تزعمها أناس باسم الدين واستخدموا السحر والخرافات لجذب الأنصار والأتباع ، وخير مثال ثورة الكاهنة التي قاومت الفتح الإسلامي.

ثم تأثر المغرب بالمعتقد الجديد وهو دين المسيحية ، إذ بعد انتشاره في الجزيرة وحوض البحر المتوسط ، أدى إلى الانتشار بين القبائل المغاربية التي تستوطن المدن الساحلية التي كانت خاضعة أو مجاورة للسيادة الرومانية البيزنطية ، ثم أخذت المسيحية تتغلغل داخل مناطق المغرب لاسيما العمق من المغرب وصولاً إلى الصحراء والساحل الأطلسي . علماً أن الديانة الموسوية نسبة لبني اسرائيل كانت قد وجدت لها مكاناً في بلاد المغرب ولو كان محدوداً ، إلا أنه عندما وطئت النصرانية أرض المغرب وجدت مكاناً أوسع لها من الموسوية .

والحقيقة أن جميع تلك الديانات لم تكن ذات تأثير نفسي عميق وكبير على السكان المغاربة ، بل كان تأثيرها سطحياً ضعيفاً ، ولم يكن لها الغلبة بدليل أن المسلمين لم يجدوا الصعوبة البالغة في كسب ود المغاربة ودخولهم بالإسلام ، حتى أصبحوا من أشد الناس دفاعاً عنه .

وروي عن سيدنا عمر بن الخطاب((رضي الله عنه)) أنه قال: "والله لقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فنظرت الى قلة الجيش وبكيت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمر لا تحزن فأن الله سيعز هذا الدين بقوم من المغرب...."

صلى الله عليه وسلم: يا عمر لا تحزن فأن الله سيعز هذا الدين بقوم من المغرب...."